البحث
عن ترند
منى على ماهر
الخان
سنابل للكتاب

مجموعة قصصية

البحث عن ترند

منى علي ماهر

مؤسسة الخان للنشر

الناشر: الخان للنشر، سنابل للنشر
مؤسسة الخان للتنمية الثقافية
جمهورية مصر العربية (القاهرة)
توزيع: شركة سنابل للنشر والتوزيع

للتواصل

01008781043
01091518150
ALKHANPUB@GMAIL.COM

مدير النشر: محمد مملوك
إخراج فني: وحدة الجرافيك بالمؤسسة
رسوم الغلاف محمد جمال أحمد
تدقيق لغوي: وحدة المراجعة بالمؤسسة
آيات عرابي
علاقات عامة: فاطمة أحمد

اسم الكتاب:
البحث عن ترند
اسم الكاتبة:
منى علي ماهر
نوع الكتاب قصص قصيرة
لغة الكتاب الأصلية: العربية
عدد صفحات الكتاب: 84 ص

رقم الإيداع بدار الكتب

الترقيم الدولي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

تم كتابة ومراجعة المجموعة القصصية داخل "ورشة الخان للكتابة الإبداعية" تحت إشراف : الشريف منجود

القصص

الجِنّيّة	7
البئر المظلمة	15
البحث عن تِرند	17
مصاصة دماء	21
ما يخبئه الفنجان	25
المقص	29
إرجاع المفقود	33
اللعنة	37
طيف	41
الرحلة	43
الدجال	45
يوم آخر بائس	49
كائن الأم	55
سر اختفاء	59

في غاية البساطة	61
الجزيرة	65
شوربة	71
اقتناص المتعة	75
الخلاص	77
نوم هنيء	79
كيس برجر	81
المتسلل	83

إهداء

إلى أغلى الناس... من تدعمني دائما بكلمات التشجيع والتقدير على أبسط الأشياء.. أمي الحبيبة.

إلى من أشتاق إليه بكل جوارحي... أبي الحبيب رحمة الله عليه.

إلى أخي.. الفنان الموهوب القريب إلى قلبي .

إلى زوجي الحبيب... شريكي وصديقي .

إلى أولادي... روحي وقرة عيني و هدية ربي .

إلى عائلتي الجميلة و عائلة زوجي.. محظوظه أن أكون فرد منهم.

إلى صديقات المدرسة ... أحلى أخوات رزقت بهن.

إلى معلماتي الأعزاء (منى وأمل وحنان) ممتنه لتشجيعهم لي على الإستمرار في الكتابة.

إهداء وشكر خاص لمعلمي الدكتور الشريف منجود على تشجيعه الدائم ومساعدتي خلال فترة الورشة وحتي الآن والتي اكتسبت منها أحلى صديقات دعموني في الكتابة (نور، أميمة، زينب) ولولاه لما كان هذا الكتاب... فلك مني جزيل الشكر والتقدير.

منى

الجِنّيّة

رأى شيئا لامعا وسط كومة رمال بجانب مبنى تحت الإنشاء وهو في طريقه إلى المنزل، خطا إليه في فضول ثم جلس على ركبتيه. نظر يمينه ويساره ثم أخفاه بسرعة في كيس مشتروات حتى يتفحصه بالمنزل. تلصص وهو يدخل المنزل، اطمأن أنه خالٍ وزوجته لم ترجع بعد من زيارة أمها.

جلس سامح على الأريكة الرمادية الكبيرة وسط الصالة واستعد للتجربة. هو يعلم هذا الشيء من القصص القديمة وحكايات الجدات. مسحه بباطن يده وانتظر قليلا، أعاد مسحه مرتين، ثم مسحه عدة مرات، فقذفه أرضا ولعن حظه البائس، وفجأة، خرج دخان كثيف أبيض اللون، ثم أصفر، ثم بنفسجي ثم وردي ثم ظهر شيء كبير أمامة وردي اللون قال صارخًا في وجهه:

- يووووه، مستعجل ليه، كل شوية تمسح على الفانوس، ايه، كنت باخد شاور.

نظر سامح إليها فاتحا فمه، رافعا حاجبيه وقال:

- ايه ده؟ جنية ست؟! أول مرة أسمع إن...

قاطعته الجنية بصوت مرتفع وحواجب مقطبة:

- آه ست فيها ايه؟

ثم صاحت وهي تشوح له:

- إذا كانت المرأة يحق لها أن تصعد على المِقصلة، فينبغي أن يكون لها أيضا الحق أن تصعد على منبر الخطابة، قصدي، تحقق أمنيات.

ارتفعت دقات قلب سامح قليلا وأحس ببعض التعرق وندب حظه العاثر لكن في سِره. قال بصوت منخفض مؤدب:

- طب أنا ليا ٣ أمنيات صح؟

أجابته وهي تحك رأسها وتبعد نظرها عنه:

- لأ، أمنية واحدة بس، أصل أنا لوني بمبي، اللون الإنديجو اللي بيحقق ٣ أمنيات.

ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة وتعرّقت قليلا. أجابها في حيرة الذكر الذي لا يعلم غير الألوان الأساسية:

- ايه الإنديجو ده؟

تأففت ودارت بعيونها في المكان ثم أشارت إلى يسارها:

- بص شايف الدايرة الصغيرة اللي جوه الوردة الصفراء في الستارة اللي هناك، هو ده.

أجابها كفيلسوف واثق:

- أزرق يعني؟ متقولي أزرق، طب أنا تعبان أوي في حياتي، مراتي كل شوية عايزة تطلق، عايزك تغيريها خالص.

أجابته مغمضة قليلا وهي تفكر:

- مم، أقلبها قطة مثلا.

قال بسرعة وصوت عال:

- لا لا، قصدي تغيريلي طريقة معاملتها؛ يعني خليها مبتسمة من الصبح لبالليل، وصوتها دايما يبقى واطي أو يا ريت متتكلمش خالص، تشاور بس وأنا هحاول أفهم، ولو مفهمتش مش مشكلة، ما هي مش بتتكلم، ومتطلبش حاجة ولا فلوس و...

قاطعته باستنكار:

- يا سلام!! أخليها تضحك في وشك ازاي يعني وأنت مش عايزها تتكلم وتفضفض شوية عن مشاكلها اللي مضايقاها، أو اللي احتمال تضايقها أو مشاكل الجيران والأصحاب والمشاكل اللي ملهاش حل.

أجابها متصيدا بسرعة:

- أهو، أديكي قُلْتي، ملهاش حل، أحلّها أنا ازاي بقى؟

قالت منزعجة:

- ما هي أكيد مش طالبة منك تحلها يا ظريف ولا حتى بتلومك على المشاكل، هي عايزة بس تفضفض عشان هي مش عارفة ايه اللي مضايقها أساسا، فكده هتفهم نفسها وتبقى أحسن، وخلي بالك، لو مسمعتهاش كويس، هتحس إنها زعلانة من مشكلات تانية. وتزعل كمان إنها مش مفهومة، بُص، أطلب أمنية تانية، أنا مش عاجبني اللي بتقوله ده، أنت مش عايز تريحها خالص.

قال بائسا وهو يمسك ريموت التليفزيون من الطاولة المستطيلة

أمامه ويضمه لصدره:

- طب خليها متاخدش ريموت التلفزيون مني، ولا تقولي بصويت: (أنت آآآعد طول اليووم على المبااايل)، يعني تسيبني في حالي خالص، أكتّي رز ولسه بيستوي، ينفع تفتحي على الرز؟ هاا!.

احمر وجهها وجحظت عينها ونفثت هواء ساخنا من أنفها وقالت:

- أنت عايز تنعزل عنها ومتدلهاش الريموت كمان؟! أنت أكيد مش بتحبها.

اغرورقت عيناها ثم تابعت:

- عشان كده بتتجاهلها، ومش عايزها حتى تتكلم عن مشاكلها فترتاح كده وتِنَعْنِش يا وِحِش.

ثم أدارت وجهها في عبوس.

تساءل بعد أن شاهد فيلما دراميا مملا ومزعجا:

- فيه ايه؟

أجابته بصوت غاضب محتقن بدون أن تلتفت له:

- مفيييش.

قام من أريكته وأجابها بانفعال كمعلق المباريات في النهائيات:

- آآآه أنا عارف الدَّخْلة دي، هنقول عُشرميت مالك، مفيش، مالك، مفيش، وبعدها لو مهتم كنت عرفت لوحدك، وطبعا، لازم أفتكر كل الغلطات اللي عملتها من ساعة ما اتولدت، يمكن تكون واحدة منهم السبب.

أضاف قائلا وهو يشوح بيده:

- ما أنا متنيل مهتم أهو وبسمع، ولّا لازم أركز في كل كلمة وأسَمَّعها تاني.

أضاف منفعلا وهو يجلس مجددا على الأريكة:

- أصلها بتبقى عاملة زي المجنونة لما تشوفني بَتفرج على مباراة ولّا بلعب على المبايل، وأنا ببقى عايز أنسى مشاكلي اللي مش لاقيلها حل فمخي يرتاح، وأول ما ألاقي حل هتلاقيني بسمع الكلام وبطلّع نور وبسقّف كمان، لكن وأنا مركز في مشكلتي ببقى زي الدّبّانة اللي شمّت بيروسول ومش مركزة مع مضرب الدبان.

التفتت إليه وقالت وهي تمسح دموعها:

- لا لا مش هسيبك تتجاهلها، وبعدين مش أنت عايز تتلهي عن مشاكلك، خلاص اسمعها عشان تتلهي، أو طلّع من تحت البلاطة وادّيها فلوس عشان تخرج مع صحابها أو تشتري كل حاجة عايزاها أو حتى مش عايزاها، بص، أُطلب أمنية تانية أقتنع بيها.

قال وهو يعضّ على شفته السفلى ويهز رجليه:

- طب خليها متعدش تديني نصايح لو حست إن عندي مشكلة.

أجابت مولولة بصوت عال:

- يا مصيبتي!! يعني أنت عايزها تعد كده متقولش حاجة؟ ما هي لو بتديك نصايح تبقى بتحبك ومهتمية بيك يا غشيم.

أجاب منزعجا:

- لا ما ده بيحسسني إني عاجز وبيجرحني، المفروض تسيبني أحل مشكلتي لوحدي طالما مطلبتش منها مساعدة، عارفة، لو واحد صاحبي، كان اهتم وعرف كده لوحده.

أجابته رافعة أنفها وهي تربع يدها:

- لا لا أُطلب أمنية تانية، أنا مقدرش أعمل كده في زميلة.

سألها:

- هو أنت اسمك ايه؟

أجابته بلا مبالاة وهي تبرد أظافرها:

- ماهيتاب

قال مندهشا:

- ايه، افتكرت هتقولي زيتونة، شيطعونة، طيب، بصي يا (ماهي)، المنحوس منحوس ولو ادّوله في إيده فانوس، واضح إنك مش هتحققيلي أي حاجة.

أجابته وهي تمضغ علكة وتفرقع بالونة من فمها:

- مش لما تطلب حاجة عدله.

قال كاظما غيظه بابتسامة صغيرة:

- طب ممكن بس تدخلي الفانوس شوية على ما أفكر في أمنية تعجبك.

قالت بلا مبالاة:

- طيب هدخل أعمل (ماسك للبشرة)، بس امسح على الفانوس مرة واحدة بس وأنا لما أخلّص براحتي، ها براحتي، هبقى أطلع.

ما إن دخلت الجنية المصباح بـــــــ (زفة) ألوان كما خرجت، حتى أخذ سامح المصباح ووضعه في صندوق زجاجات مياه معدنية فارغ، ثم أضاف إليه أحجار كثيرة من الشارع قبل أن يركب سيارته.

فتح (جوجل ماب) على أقرب فوهة بركان، لكن وجد الطريق سيستغرق أياما، فذهب إلى كبرى (قصر النيل) وأوقف سيارته بجانب السور، ثم قذف الصندوق بكل ما أوتي من قوة في النيل.

البئر المظلمة

رفع سيفه عاليا وانهال عليه بكل ما أوتي من قوة على رقبته الغليظة القاسية، ثم تلاه بطعنة نافذة اخترقت جسده السمين المنتفخ، وأخذ ينتزع أحشاءه بقسوة وكُره حتى كاد عقله يَسمع صوت غلي دمائه وهو يتذكره بنظرات استخفافه مع أصدقائه وهمساتهم التي تتساقط عليه كالسهام المشتعلة، فتأكل جسده الضعيف الهزيل يوما بعد يوم، وتسلب النوم من عقله، وتسد الشهية عن طعامه، فأصبحت علاماته المدرسية المتدنية وهواياته المهجورة تطارده في كوابيسه كل يوم.

أسقط سيفه بجانبه، فلم يَسمع صوت ارتطامه بسبب هزيم الرعد المُدَوِّي وجلجلة المطر الشديدة وعويل الرياح العاتية. استرد أنفاسه بعد أن أفرغ فيه غضبه، ثم مسح عرقه من على وجهه الحانق المليء بالجروح كالأخاديد الحمراء وكَفْكَفَ دموعه الهاربة من عينه المنتفخة المحاطة بدائرة زرقاء تذكره بشدة قبضته وخزيه الذي يتراكم كل يوم.

ألن يأتي وقت الخروج من هذه البئر المظلمة التي لا سلم لها؟ هل سيظل يدفع الثمن لعدم رضاء - هذا المتنمر - عن نفسه ورغبته بالتسلط والتحكم في حياة الآخرين.

التقط سيفه المهترئ ولملم دُبه الممزق وأحشاءه القطنية المتناثرة وأخفاه

في دولابه المَلِيء بلعبه المهشمة وكرامته المحطمة وكيله الذي طفح من كثرة التنمر.

البحث عن تِرند

فَرَش المجرمون الخطرون للغاية ورق الخطة على طاولة مستطيلة كبيرة داخل إحدى أوكارهم الفارغة الخَفية.

جلس أفراد العصابة الأربعة معه، ثم بدأ الزعيم بشرح خطة اقتحام البنك المركزي المصنوعة بحنكة، فقط مشكلة صغيرة تواجهم اليوم بعد زيادة أعداد أفراد الأمن وكاميرات المراقبة والدبابات والمارينز في المنطقة.

اقترح أحد أفراد العصابة خطة جهنمية للتسلل ببراعة بدون أي شك، فقال في حماسة:

- بص يا زعيم، احنا عشان ندخل وسط الهيلمان ده كله ومحدش يشك فينا، لازم نبقى مشهورين، فالناس لما تشوفنا يستقبلونا ويتصوروا معانا ومياخدوش بالهم من حاجة.

تساءل الزعيم في دهشه:

- ازاي مش الشهرة دي للمتميزين في حاجة؟

أجابه بكل بثقة وهو يشوح بيده:

- لا يا زعيم، دلوقتي الشهرة بتيجي من الفيديوهات اللي بتستفز الناس أو تموتهم من الفضول، بُص، احنا نعمل فيديو يبقى ترند فنتشهر، ونكمل بقى شوية فيدوهات لغاية ما نطلع في برنامج (منى الشاذلي)، باااس، احنا كده بقى ندخل البنك مخبيين الأسلحة عادي ومحدش هيفتشنا.

شرد الزعيم قليلا، وهرش في شعره الرمادي المنكوش، ثم نظر في هذه الوجوه الشابة من حوله المشوهة ببعض الغرز البسيطة، ثم تساءل في نفسه؛ ربما حان الوقت للخروج عن المألوف وتجربة ما هو أقل قسوة وعنف.

أسند الزعيم ظهره على الكرسي الضخم ثم قال:

- المهم بس الفكرة.

بدأ اللصوص بعمل عصف ذهني لأكثر فكرة إبهارا وإثارة للجدل تزيد بها المشاهدات. قال أحدهم:

-ايه رأيكم نولع نار ونشوي عليها سمك عند تانك بنزين أجمد عربية عند الزعيم.

قاطعه مَن بجانبه بـــــــ(بوكس) على كتفه:

- أنت غبي ياض، كده هتلم القطط علينا، بصوا جدتي مربية بط فوق سطوح بيتها، احنا نروح عندها، نهرّب بطة من القفص ونعد ننده عليها ونغني مريَيَيَم مريَيَيَيَيَاااام.

قاطعه من يجلس أمامه وهو يشوح بيده:

-ايه يا بني اللي بتقوله ده؟!

- ايه، طب نخليها ريهاااام ريهاااااام، أو ايه رأيكم نلبس بط كلنا ونقف جنب (طشت) كبير ونرقص على أغنية (البط يقوم فرحان من النوم).

اقترح الأخير بحماسة:

- ايه رأيكم نعمل فيديو ونسميه: شاهد قبل الحذف،أقوى علاج للكبد والكلى وحشرات الشعر وجلب الحبيب وفك السحر.

قاطعهم الزعيم في ملل وتثاؤب:

-تمام يا رجالة، شوفو ايه المناسب واعملوه.

الإدمان

لا يأتي فقط بسبب بعض الحقن أو الأقراص، فغريزة لفت الانتباه قد تزداد يوما بعد يوم، حتى تتحول لاضطراب هوس الشهرة، اضطراب يجعلك تفعل أي شيء، أي شيء فعلا حتى تشبع شعور حاجتك للتقدير ولو على حساب كرامتك المبعثرة أمام الملايين.

أدمن اللصوص الشهرة حتى صوروا أشياء غبية للغاية، حياتهم الشخصية وأيضا كل الأوكار.

في صباح يوم، فتح الزعيم تليفونه - بعد انشغاله فترة - ليرى ماذا حققوا من شهرة بعد كل هذه الاقتراحات، إلى أن تفاجأ بفيديو له حقق أعلى مشاهدات وهو يعبث بيده بين أصابع رجليه ثم يعبث بها في أنفه. انتفض الزعيم من على كرسي مكتبه، هاج وماج وخطا كالزلزال نحو الباب وما إن فتح باب مكتبه حتى تفاجأ بكاميرا مبايل أحد أفراد العصابة يصوره (لايف) ويقول:

-وده بقى أخطر زعيم عصابة، لقيناه في وكر لا يمكن حد يتخيل مكانه فين، وعشان أنا بحب مشاهدينا وبتعب عشانهم، سيبتلكم العنوان

في صندوق الوصف، يلا بقى لايك وشير وسابسكرييييييي بعععع اااه.

هجم الزعيم على (زمارة رقبته) ثم خطف التليفون من يده وحشره في فمه الثرثار وحلف أن يجعله يأكله في قضمة واحدة، وفجأة، سمعوا سرينة الشرطة مع صوت عال من ميكروفون يقول: (سلموا نفسكم، المكان كله محاصر)، ثم حدث انفجار مدوٍّ لعربة الزعيم يصاحبه انتشار لرائحة السمك المشوي.

مصاصة دماء

قررت هبه لطفي ذات الـــــــ ٢٧ عاما أنه حان الوقت لتكون (سترونج اندبندنت وومَن) وبدأت في البحث عن عمل أخيرا. لحسن الحظ بعد مضي شهرين في عملها وجدت شريك حياتها الأنيق فتراجعت عن بعض أفكار الـــــ (اندبندنت) قليلا، وحلمت بفستانها الأبيض كالأميرات في القصص الخيالية.

هبه الآن (سترونج) فهي تعمل خارج منزل الزوجية وداخله أيضا، لكن في العمل بعض الفروق الجندرية جعلتها تذهب كثيرا لقاعة البكاء- حمام السيدات- فهو المكان الذي تهرب فيه من قسوة الغابة المُوحِشة المسماة بالعمل.

وفي ليلة ممطرة شديدة البرودة ترجف الأبدان، لم يحدث شيء، لكن هذا ما تطلبته سخافة المؤلف. في اليوم التالي ذهبت هبة كالعادة إلى عملها، لكنه، كان اليوم الأشد قسوة.

أنهت هبة مشروعا مع زملائها بعد شهر كامل من التعب والسهر، فذهبت بحماسة إلى اجتماع عند المدير لعرض المشروع، فتطوع أحد الزملاء الكسولين لعمل (بريزينتيشن)، أثار دهشة المدير الوغد وحصل على أعلى علاوة نقدية، حاولت هبة أن تشرح للمدير مجهودها لكن قام زميل آخر يُسمّى (ببلدوزر) الشركة بمقاطعة كلامها كالعادة، فهو الأقدر في

كل شيء، وأما الحرباءة المتلونة المتملقة دائما للمدير، تظاهرت أن لولاها لما كان المشروع ليخرج بهذه الصورة المبهرة والسرعة الفائقة، مع أنها الأكثر كسلا والأبشع رفقة بين الزملاء، لكن هذا ليس أسوأ ما تفعله، فهي دائما تثير غضبها بمزاحها ودلالها السمج مع زوج هبة كل يوم في العمل، فيجعلها تستشيط غضبا كمقلاة محروقة، والأفظع أن الزوج الوغد لا يصدها أو يصفعها على وجهها الوقح لتكف عن ذلك.

بعد الاجتماع هرعت هبة إلى الحمام كالعادة، فأهدتها صديقتها في البكاء كتاب (**jerks at work**) للتعامل مع هذه الكائنات المريضة. تصفحت هبة الكتاب كفرصة أخيرة، أغمضت عينيها وتخيلت يومها بطريقة أخرى.

كان يجب أن تكتب كل اسم بجانب المهمة التي نفّذها، ولا تسمح بمقاطعتها حتى لو استعانت بزميل ليساندها، أما الحرباء المتلونة فيجب أن تجهز لها ملف أخطاء تشرحه أمام المدير لكن بعد مدحها طبعا فهي المفضلة عنده، لكن ما العمل مع دلالها المقزز؟ فضلت هبة الحل الأمثل لمثل هؤلاء الأوغاد وسط كل هذه العبثية.

في ليلة أخرى ممطرة باردة ذهبت هبة إلى أكثر الأماكن رعبا في أطراف المدينة، كل قصص الأساطير المخيفة تأتي من ذلك القصر الكبير العتيق.

دخلت هبة من باب القصر وسط ظلام حالك برُكَب متذبذبة، آخذة أنفاسها بصعوبة وسط رائحة الدم المُنفرة. فنادت بصوت عال مرتجف:

- كونت دراكولا، أعلم أنك هنا، أحتاج إلى مساعدتك بشدة.

مع دخول الليل في اليوم التالي ذهبت هبة مسرعة لتلحق بآخر ساعة قبل موعد انتهاء العمل. دخلت بخطوات هادئة إلى ساحة الشركة الكبيرة، متجاهلة النظرات المتساءلة المتعجبة إليها، واتجهت إلى السلالم المؤدية لغرفة المدير، وبعد خمس دقائق من دخولها المقتحم لغرفته حدث شيء عجيب، فكل عشر دقائق صوت مألوف يقوم بالنداء من السماعات السقفية في الشركة على أحد الموظفين للتوجه لغرفة المدير ولا يخرج بعدها أبدا. إلى أن جاء آخر اسم.

فتح زوج هبة المسكين باب غرفة المدير، وما إن خطا خطوتين حتى صرخ من ألم عضة في رقبته، التفت في ذعر ليجد أنياب زوجته مغروسة في عنقه وتمتص كل دمائه ومن خلفها جثث متناثرة مخرمة الرقاب للزملاء الأوغاد وحتى المدير. قال لها متوسلا مصدوما وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- هل أنا خنتك؟! كل هذا من أجل مزاح زميلتك معي؟!

أجابته بعد أن مسحت آثار دمائه من على فمها، وعلى وجهها نظرات الانتصار:

- يكفي أنك لم تحترم مشاعري.

ما يخبئه الفنجان

الفتيات الآن هادئات في الشرفة، تاركات مذاكرة آخر امتحان قبل التخرج، هائمات في هذا الجمال المبتسم الخلاب. تنهدت سالي بصوت مسموع ثم قالت:

- هو مين ده يا زينب، هو ده جار جديد ولا ايه؟

أعادت سالي سؤالها لأن زينب كانت شاردة قليلا في: هل سيحضر لها هذا الوسيم المبتسم شَبْكة من الذهب أم الألماس؟ ثم أجابتها بدون أن تلتفت لها بنفس التنهيدة:

-لا، ده شكله ضيف، مش حاسة إني شفته قبل كده.

قاطعتها أميمة بابتسامة من الأذن إلى الأذن وقالت:

-ياااااه شكلي كده قربت أتجوّز يا بنات، ده بيضحكلي من ساعة ما أعدنا.

اعترضت سالي وزينب بصوت محتد ثم حدثت مشاجرة نسائية بصوت عالٍ قليلا عن إلى أيٍّ منهن ينظر الشاب ويرسل ابتساماته الساحرة.

سمعت نور المشاجرة من خلف ستائر الشرفة فهمّت لتعرف ما الأمر، وما إن دخلت الشرفة حتى تحولت لتمثال حالم ودار في ذهنها:

-مش معقول جمال الممثلين ده أسيبه لمفاعيص في الجامعة، ده حتى شكله في التلاتينات زيي.

ثم قالت بصوت عال قليلا:

- باااسسس، عايزين نفض الخناقة دي، هعملكوا طقم قهوة معتبر، وأقرأ لكم الفنجان ونشوف مين بقى هتبقى سعيدة الحظ.

أزاحت زينب الكتب جانبا من على الطاولة المستديرة أمامهم في الشرفة، ووضعت نور صينية القهوة، فاصطفت الفتيات على الكراسي واضعات رجلا على رجل في الوضع المعروف لاحتساء القهوة ببطء- المُرّة بالنسبة لهم- متأملات الابتسامة الساحرة، ذو القميص الأحمر والشعر البني الموج المنسدل على جبهته العريضة في الشرفة المقابلة.

أعطت زينب الفنجان لأختها وقالت بحماسة:

- شوفيني أول واحدة.

تأملت نور الفنجان قليلا وابتسمت ابتسامة غامضة ثم قالت:

- أنا شايفاكي واقفة أدام طريقين، و محتارة، أنجح وأعمل (كارير) وَلّا أمسك ابني من قفاه وأذاكرله دراسات اجتماعية.

تساءلت زينب بثقة:

- ها، اخترت الجواز طبعا.

- لا شايفاكي باصة ناحية الطريق بتاع النجاح.

- ازاي ده أنا انطوائية ومش بحب أشارك حتى مع زمايلي.

- وماله، أنت فاكرة أن العصف الذهني ده بيأكل عيش، دول أحسن ناس تاخدي منهم شغل محترم هم الانطوائين.

ثم تابعت قبل أن تفتح زينب فمها:

- ولما يبقوا قياديين بقى مقولّكيش، ودانهم شغالة كويس، وبيدوا فرصة لي تحتهم يبانوا، فيطلعوا منهم أفكار أحسن، ومش بيفرضوا رأيهم زي الناس التانية.

اعترضت زينب بحزن قائلة:

- طب ما أختار الاتنين وأنظم وقتي، ايه المشكلة يعني؟

أجابت نور بصوت ناصح ممدود:

- يا بنتي، هتغرقي تحت حماية الفهد المصري من الانقراض وتحمّل اليربوع للعطش وأين ينمو نبات الخروع، تعملي في نفسك كده ليه بس؟!

ثم تابعت مسرعة:

- ياااه، ده أنا شايفاكي هناك أهو، بقيتي رئيسة شركة أد الدنيا، ألف ألف مبروك لولولولي.

التفتت زينب بعيون بائسة نحو السراب، حينها سألت أميمة آملة:

- طب وأنا؟

- لاا، ده أنا شايفة عريس تاني إنما ايه، ده عنده طيّارة خاصة وأنت راكبة معاه أهو.

لمعت عيون أميمة وشردت في عالم مليء بحقائب التسوق من (ديور) و(شانيل). تابعت نور متظاهرة بمحاولة الرؤية:

- هو بس طيارته غريبة شوية، مدورة كده وملهاش سلم، بتشفط الناس بشعاع، حتى العريس باين أخضر وبتلات عيون.

ثم شوّحت بيدها وقالت:

- يلا مش مشكلة.

لم تسمع أميمة شيئا فهي ما زالت شاردة في شكل قصر أحلامها وتطوف بداخله في سعادة. انشكحت أسارير سالي وسألت ضاحكة:

- طب وأنا، مفاضلش غيري بقى.

- وريني كده، أووه لالا.

- ايه أنا اللي هتجوزه، صح؟

- للأسف، يظهر أن أفكارك هتتغير شوية بعد التخرج وهتتحولي.

- أتحوّل ايه مش فاهمة!

- هتحولي نوعك يعني، هتقلبي راجل.

طقت عروق سالي ونفثت هواءً ساخنا من أنفها ونسيت أنوثتها بالفعل، فنهضت من كرسيها بقوة فارتطم بالأرض محدثا صوتا جليا ثم قالت بحدة وهي تنقضّ على نور:

- راجل مين يا...

ثم أمسكتها من شعرها بإحكام وبدأت حفلة الصويت. زينب تحاول التفرقة بينهم وأميمة ما زالت شاردة بعقلها داخل إحدى مولات (دبي).

دخلت أم الشاب الوسيم مفزوعة إلى الشرفة، اطمأنت على ابنها المرتبك من الأصوات العالية المخيفة، فأمسكت عصاته وأسندته إلى الداخل أمام ذهول الفتيات الرقيقات.

المقص

خرج العجوز من المكتبة بعد منتصف الليل بعد أن أمضى الليلة كلها يرتب الأدوات المكتبية استعدادا لبداية أول يوم دراسي في المدرسة المجاورة. وما إن انطفأ النور حتى كسر الصمت داخل المكتبة الصغيرة صوت المشاجرة كالعادة.

على يسار الباب فتح درج مكتب العجوز قلمٌ جاف قديم منهك وقفز لينجو بأذنه المسكينة من الشجار اليومي للمقص، سألته الآلة الحاسبة الراقدة على المكتب:

- هل انفصلوا كما كانوا يهددون كل يوم؟

و قبل أن يجيبها القلم، خرج من الدرج إلى سطح المكتب مقص هائج كبير وقديم، ذو مقبض أسود بلاستيكي، إحدى يديه أنثى والأخرى ذكر. قالت اليد الأنثى بانفعال وصوت عال:

- خلصووووني منه.

نادت اليد الذكر بوجه أحمر غاضب:

- هو بيهرب فيين كل يووووم؟ هاتولي المفك ده وإلا...

ثم أمسك بالقلم الجاف وربطه بسلك التليفون القديم على المكتب وهدد بكسره، فجاء المفك رغما عنه وأخذ يفك في (صامولة) المقص وهو يحاول النصيحة. قالت وهي تقفز على أول رف من رفوف

الأدوات خلف المكتب وتشوح بيدها:

- أخيرا خلصت منه.

قال ضاحكا بسخرية بصوت عالٍ لُيسمعها:

- أنا اللي ارتحت من بوز البومة.

التفتت له من فوق الرف وقالت بصوت عال وهي تضع يدًا على وسطها وتشوح بالأخرى:

- أنا هدور على إيد تانية، يهتم بيا وبرأيي، مش يعد يتخانق معايا على طول عشان يثبت إنه صح، أو يزهق من أسئلتي ويحسسني إني بَضَيّع وقته اللي بفلوس.

قال بنظرات انتصار وصوت أعلى منها:

-أنا اللي هدور على إيد منعنشة كده، مش إيد تلومني على تعاستها، وتعد تنتقدني على أي حاجة بعملها أو حتى مش بعملها.

ذهبت في آخر الرف الأول لأحد علب المقصات الحديدية الجديدة، لعلها تجد من يتفهمها وتعيش معه في سعادة ورومانسية وطمأنينة، بدون انتقادات، أو تقليل من مشاعرها السلبية بمحاولة شرح الأسباب الكونية والفلسفية لنفي هذا الشعور.

أما هو فذهب للرف الخامس الأخير حيث يعلق العجوز عليه المقصات الملونة البلاستيكية الزاهية كالأميرات، ليبحث عن يد جديدة تُعجب به دائما ولا تخبره كيف يقوم بالأعمال، فيشعر أنه فارسها النبيل.

قبل بزوغ الفجر رجع (فردتا) المقص إلى درج المكتب حانيين رؤوسهما، شاردين في هذا العالم الفاني. قالت له بنظرات الحزن:

- ايه اللي جابك تاني؟

قال مشوحا يده:

- كله رايح.

قالت باستياء:

- كلكم زي بعض.

قال بائسا:

- كنت فاكر العيب في الفردة اللي معايا بس طلع إن كلكم مجانين.

ثم قال لها أقوى كلمة ابتكرت لتهون على النفوس وتمحو الأخطاء وتعالج المجنون:

- معلش.

أمسك بيده (الصامولة) ونادى بأعلى صوت على المفك ليربطهما مجددا.

اجتمعا مرة أخرى فرحين، فقصا سلك التليفون ليحررا القلم المكبل المسكين، ثم شغلا بعض الموسيقى الصاخبة من الراديو الصغير على درج المكتب ورقصا رقصة المقص المجنونة الشهيرة، فقصا دفتر الفواتير - المجهزة بعناية للضرائب- ثم فتحا درج النقود وقصا جميع العملات الكبيرة، بعدها قفزا على ثاني رف كبير خلف المكتب وسط بخاخات الثلج الأبيض وقاما برش المكتبة كلها، فبدت كأنها صفحة بيضاء تفتح لكليهما.

طارا بسرعة للرف الثالث في الجهة المقابلة عند كراسات الرسم ذات الأوراق الملونة ليقصا أشكال قلوب بكل الألوان. فاختار هو النوع المقلد الأكثر مبيعا، لكنها قررت بدلا من الانتظار دهرا ليخمن مطلبها، وطلبت مباشرة نوع كراسات (كانسون) الفاخر باهظ الثمن، فوافق لكي (يمشّي حاله)، وقبل أن تقترح كيفية الحل الأمثل لقص أشكال القلوب (عصرت على نفسها لمونة) وتركت فارسها يختار الطريقة المثلى لإتمام الأمر.

لقد تطور سلوكهما العنيد، وبدأوا بمحاولة تفهم احتياجاتهما المختلفة بدلا من بذل الجهد في الطريق الخطأ.

هبطا على ماكينة التصوير في الجهة المقابلة، ناثرين القلوب الملونة في الهواء فبدت كأمطار الحب المشتعلة، وفجأة، تسارعت دقات قلوبهما وهما يسمعان صوت مفتاح العجوز وهو يضعه في باب المكتبة بكل تفاؤل وابتهاج، ليوم جميل مربح للغاية.

- فاااااشل، أنا فاشل.

سأله بهدوء وهو يكتب الملاحظات.

- لماذا تشعر بذلك؟

أجاب باكيا:

- محاولاتي كلها فاشلة، جميع زملائي يرجعون في اليوم التالي بحكايات ممتعة عن الأشخاص الذين أرعبوهم، وهناك شهادات تمنح في مركز التدريب لمن يجعلون الضحايا يبللون أنفسهم.

- ربما سقف توقعاتك عال، وتحتاج لوقت أطول للوصول إليه. هل تقارن نفسك بالآخرين؟ إنها أحد الأسباب لحالتك تلك.

أجاب بائسا وهو يشوح بيديه:

- الموضوع أصعب مما تتخيل، لم يعد الناس يخافون من الأشباح كما كانوا بالسابق، إنهم يصابون بالهلع أكثر من فاتورة كهرباء فصل الصيف، أو ارتفاع الأسعار، ربما من خطاب استدعاء ولي أمر لأحد الأبناء، حتى بعض نصائح التربية الإيجابية قد تكون أكثر رعبا وفتكا من مجرد ملائة متحركة في الهواء.

تمتم المعالج في حزن ثم أعاد سؤاله:

- وماذا يعتريك من شعور أيضا؟

تمدد الشبح على الأريكة وشرد قليلا ثم قال:

- الملل، أشعر أن كل شي أصبح مملا، حتى بدأت بالتصادم مع المقربين لي، لم أعد أريد الذهاب للعمل أو التحدث مع الناس أو حتى مغادرة السرير.

سحب المعالج نفسًا عميقًا من غليونه ثم نفخه ببطء وأمسك من على المكتب نموذجا خشبيا صغيرا لثور يجر (ساقية) ثم قال شارحا:

- أنظر أنت ثور.

انتفض الشبح واتسعت عيناه، فأردف المعالج قائلا:

- أنت مثل هذا الثور تدور في دائرة، ضغوط ومشكلات حياتك المستمرة تثنيك عن ممارسة نشاطات تساعدك على تفريغ هذا التعب والتوتر، فيزداد الإرهاق والتوتر، ويزداد معه شعور فقدان الشغف.

اتكأ الشبح مجددا على الأريكة وقال يائسا:

- إذًا ما العمل، هل سأفنى وأنا أدور إلى ما لا نهاية، هل هذا هو الاكتئاب؟

نفث المعالج دخانا كثيفا حتى ملأ الغرفة ثم قال:

-لو كان اكتئابا، ربما لكان محفزا لطرق أكثر إبداعا للتخويف القاسي.

ثم نهض من مكتبه وتابع بصوت عال أشبه بالصياح وهو يخبط يديه على المكتب:

- أما ما عندك فهو انتحاار، يشعرك أنك منطفيء، لا مبالٍ، فارغ، حتى جزيئاتك غير المرئية تصير مبعثرة، إنه الشعور بالموووت وأنت على قيد الحياة.

ازداد الشبح بؤسا وانزلق من على الأريكة وجثا على ركبتيه وهو يغطي وجهه بيديه ثم انفجر في البكاء وهو يقول:

- نعم، نعم، إنه أنا، عاااا، إهيء إهيء.

خطا إليه المعالج وطبطب على كتفه ثم أخذ بيديه وأسنده وهو ينظر إلى عينيه الباكية فقال:

- لا تقلق حتى يعود شغفك، اِبدأ بخطوات صغيرة وبسيطة، فتخويف شخص كبير بمفرده أسهل من مجموعة أطفال متوحشين، يعتقدون أنك مقلب من أحد أصدقائهم فينقضون عليك ويجعلونك تبلل ملاءتك.

أمسك المعالج طرف ملاءة الشبح ليمسح له إفرازات أنفه ثم أردف ناصحا:

- أُطلب المساعدة من العائلة والأصدقاء، فأحيانًا يكون مجرد التحدث هو ما تحتاجه بالضبط ولا تنس النوم جيدا.

ثم تابع وهو يأخذ إعلانا من على المكتب ويعطيه له في يديه:

- قد يساعد الاشتراك في نادي التخويف للفاشلين على الالتزام، فيزداد حماسك وتتراكم لديك ذكريات سعيدة.

سحبه من يده إلى النافذة على يسار المكتب وأشار إلى منزل في آخر الشارع ثم قال:

- هيا، اِبدأ بصيد سهل، هناك سيدة سافر زوجها ليلة أمس.

نظر إليه الشبح متأملا بابتسامة، فتابع المعالج بحماسة:

- هل أنت جاهز؟ هيا أنت لها، اِذهب يا بطل وأطربنا ببعض الصرخات العالية.

ثم أطلق الشبحان ضحكة الأشرار بصوت عالٍ وهما ينظران بخبث باتجاه المنزل: -هاها هاهاها.

طار الشبح إلى شرفة المنزل، انتظر حتى جمعت السيدة الغسيل الجاف من (منشر التجفيف) ووضعته على الأريكة ثم ذهبت للداخل.

تسلل لداخل الصالة واختبأ بحنكة داخل كومة الغسيل ثم تخيل مشهدا مضحكا لسيدة المنزل تطبق الغسيل ثم فجأة، يتحرك قميص أبيض في غموض ثم يطير عاليا في الهواء مع صوت ضحكات شريرة تجعلها تطلق صرخة مدوية وتهرع فزعا وتلف في دوائر وسط صالة المنزل حتى تصطدم في باب الطرقة الزجاجي مثل مشاهد (توم وجيري) وتسقط مغشيا عليها.

كتم ضحكاته بيده بعد تخيل المشهد، فكم سيسعده هذا المنظر أسبوعا على الأقل، فيشحن طاقته لمزيد من التخويف الممتع للغاية.

انتظر الشبح لآخر اليوم في شغف، ثم اليوم التالي في ملل، ثم اليوم الثالث في تأفف وشعر أن كومة الغسيل فوقه تزداد ثقلا كل يوم. بعد أسبوع رأي عنكبوتا صغيرا يحمل حقائب (عزاله) من خلف الأريكة ليستقر معه في كومة الغسيل المهملة، فصاح الشبح غاضبا:

-هل سأنتظر هذه (الولية) دهرا حتى تطبق هذا الجبل البائس.

اللعنة

تحول المكان كله لظلام حالك بعد أن أغلقت العاصفة الرملية باب المقبرة وتركت الأخوين متأرجحين بين التوجس والإقدام، تساءل حسين:

- أين الكشاف؟ أخرجه بسرعة.

وما إن أضاءه محروس حتى رأى ظل أفعى الكوبرا أمامه تتراقص على جدران المقبرة، فأسقط كشافه وأطلق صرخة يمكنها أن تُحيي صور الفراعنة المنتشرة على الجدران. التقط حسين الكشاف وطمأنه أنها ظل يده وهو يحاول التهوية على وجهه بسبب رائحة الغبار الخانقة.

عاودا السير داخل المقبرة المستطيلة الطويلة المزخرفة أملا في العثور على إحدى غرف الكنز. دخلا بهدوء من باب غرفة على اليمين في آخر المقبرة ودار حسين بضوء المصباح باحثا في أرضية الغرفة الصغيرة الحجرية، حتى جرى شيء صغير بسرعة بين قدمي محروس، ففر تاركا أخاه وراءه في الغرفة إلى غرفة مقابلة، فتعثر في حجر صغير عند الباب وسقط على بطنه، فصرخ بصوت عال ممدود:

- اااه اِنجدني يا حسيييين.

و فجأة، ظهر أمام محروس شيء مرعب ضخم وجهه مشعٌّ ينظر إليه، فانتفض محروس وتشقلب إلى الوراء وبلل بنطاله، وكاد قلبه يقفز من مكانه، حتى سمع صوت أخيه يخبره في تهكم أن ضوء المصباح وقع على

وجه تمثال ضخم، ثم أمسك يد محروس المرتجفة وأسنده حتى يرجع الدم إلى عروق رجليه مجددا.

- إنها أغبى فكرة.

قالها محروس وهو يختبئ تحت طرف (جاكتة) أخيه من الخلف، فأجابه حسين بكل ثقة وهو يتأكد بضوء المصباح من خلو الغرفة الثانية:

-لن أضيع الفرصة، فمن أين علم صاحب الرسالة أني أعمل في الحراسة ليلا أيها الذكي؟

أجابه محروس محاولا النظر حوله من تحت الجاكيت:

- هل نجازف بحياتنا من أجل رسالة من مجهول يقول فيها: (انزل عمك لقي تماثيل ذهب وحجارة شوف رجل أمين يصرفهم)، ثم إن عمنا مسافر منذ شهر.

تأفف حسين قليلا، ثم اتسعت عيناه وازداد الأدرينالين في دمه بعد أن رأى باب غرفة سريا صغيرا بطول متر واحد قريبا من التمثال.

جر حسين محروس من ملابسه بقوة ليدخله معه عبر الباب الصغير، حتى كادت جلابيبهم تتمزق من خشونة المدخل وبدأت أنفاسهم تنقطع من نقص الأكسجين ورائحة التراب داخل الغرفة الصغيرة قصيرة السقف للغاية.

مشيا على أطرافهم الأربعة داخل الغرفة حتى وجد حسين تمثالا حجريا بحجم كتاب يشبه رأس الملك (توت عنخ أمون) فلمعت عيناه وتخيل نفسه يسبح في خزانة من الذهب والنقود ويحقق كل أحلامه،

وما إن أداره حتى اندهش محروس من تغير ملامح وجه أخيه تحت ضوء المصباح، فبعد أن كانت عيونه مشعة كالبدر تطوف حالمة كأنها ستلمس النجوم وتتحسس بريقها، أصبحت كالقمر وقت الخسوف وهو يقرأ من على ظهر التمثال بوجه أصفر وصوت يخرج بصعوبة بسبب ارتعاد أوصاله:

-أيها البائس، سألقي عليك لعنتي طوال حياتك:

إذا مشيت بسيارتك في أي طريق، ستكون ناحيتك مزدحمة للغاية والناحية الأخرى كالصحراء الخاوية.

و إذا أحببت اللقاء مع أصدقاء المدرسة القدامي، سيكون أحدهم يسكن في أكتوبر والثاني في التجمع أو الشروق.

أما إذا اخترت أسبوعا في فصل الصيف لتسافر إلي البحر(تبلبط شوية) ستجد البحر هائجا ومائجا كالجبال وممنوع النزول فيه، ثم يتحول في يوم عودتك ويصبح كحمام سباحة في أفخم المنتجعات الترفيهية.

أما كوبري أكتوبر سيكون مخادعا، ينتظر أن يكون عندك معاد أو متأخر ثم يفاجئك بوجود حادث أو إصلاحات، فيأخذ ضعف وقتك و يجعلك (تعمل على روحك) ويصيبك الجفاف، هذا إذا نجوت من صراخ الأطفال.

و إذا فكرت النزول للتسوق، ستكون التخفيضات انتهت قبلها بيوم أو زاد سعر الدولار.

نظر الأخوان بعضهما إلي بعض ثم فقدا الوعي كالمومياوات المحنطة.

*****

حسنا حان وقت النوم يا صغيري، سأل الطفل الصغير وهو يشد لحافه:

-هل اللعنة حقيقية يا جدي؟

أجابه الجد وهو يفكر بعمق:

-صحيح أن لا دليل على اللعنة بعد، لكن مؤكد أنها بسبب هذين الأحمقين.

طيف

مجددا، هذا المنزل الصاخب، ذو الروائح النفاذة وألوان المهرجانات، إنه يشوشني بسيل من الذكريات عن كل الحفلات الماضية، الآن أخطو من باب المنزل إلى طاولة الطعام الكبيرة التي اختفت أسفل علب البيتزا والشطائر الصغيرة، وكعكة دائما زرقاء بدورين، صوت أمي يعبر أذني (أشرف، سلم على بيبو) لكن رائحة الكعك المكوب مختلفة هذا العام، هل هي نكهة التوت؟ والزينه تبدو أقصر هذه المرة. (أشرف، سلم على بيبو وقُلّه: كل سنة وأنت طيب).

- كل سنة وأنت طيب، أنت عندك كام سنة؟

ببيو يرد: ٥.

أشرف يعاود السؤال بابتسامة تملأ وجهه:

- أنت عندك كام سنة؟

بيبو يرد بأقل حماسة: ٥.

أشرف يكرر السؤال عدة مرات بكل فرح وفي ذهنه: يااه، كم هذا ممتع!! أن أُجري حوارا بهذه السهولة حتى لو مع طفل بنصف طولي، يااه، مشاعر الفرح غمرتني للغاية، تكتم أنفاسي،آآه القفز سيخلصني منها، الآن لا أشعر بأطرافي، هل ما زالت موجودة؟ ربما إن قمت بتخبيطهم في أي شيء حولي أحس بهم.

تن تن، تن تن، تن تن.

آآآآآه الجرس، زلزال يهز أذني، ربما إن غطيت أذني وتأرجحت لا يفجرني.

سأهرب الآن- قبل أن تُسحق أعصابي من غناء حفل عيد الميلاد- إلى الصالة الكبيرة بكل سرعة و...

يااااه، هذه السيدة المسنة مجددا؟ الجالسة في آخر الصالة بملابس صفراء مرعبة، وأُففف، رائحة عطرها الذي يغشي المكان، تماما مثل الحفلة الماضية، بنفس الابتسامة أصرّت أن أنظر لعيونها وهي تلقي عليَّ وابل من الأسئلة، كيف أقنعها أني لا أقصد النظر للأرض أو إلى اللا شيء كما تدّعي، إني أحاول فقط السمع بكل حواسي، أسابق الزمن لتجميع ما يقال لي، ثم إن النظر للعيون عندي كمشاهدة فيلم مخيف.

الأصوات، العيون، الروائح الألوان، كثيرة في هذا الاحتفال. كم أحب البقاء وسطكم، لكن عيونكم مرآة تعكس ما بداخلكم، أعلم أن تصرفاتي غريبة من وجهة نظركم، لذلك، سأختار الوحدة مجددًا، وأتسرب لأي غرفة حتى لا أزعجكم.

ليتكم تقتنعون أني لست مريضا أو مجنونا، فما عندي مجرد اضطراب، اضطراب طيف التوحد.

الرحلة

نعم من هذه الزاوية، تمام، مرة أخرى من فضلك وأنا أنظر لهناك وأظهر المبنى كله من خلفي، نعم أشكرك.

يااه، يا لها من صورة جميلة!! لم أكن أتخيل أني سأستمتع لهذه الدرجة.

منذ ٣ سنوات، رحلت زوجتي وتركت وراءها عجوزا مسنا وصديقا كان يشاركها حياتها الهادئة، الشاي في الشرفة التي كساها الآن التراب وخيوط العنكبوت، الأريكة الكبيرة الدافئة التي أصبحت مهجورة هي والتلفاز الجديد، فصار كل شيء يمر ببطء، الدقائق ساكنة والساعات ثابتة، وبدأت أعراض الاكتئاب تتسلل لجسدي، حتى بدا منزلي كمن يسكنه الأشباح، وتحول لمصدر بعض القصص المخيفة في المنطقة، يهمس الجيران من حولي إن ظهرت كل فترة طويلة خارج المنزل، ربما اعتقد الأطفال أني مصاص دماء، فهكذا ينظرون لي ويهربون فورا.

كنت أنتظر الموت لينتشلني من ظلام الحياة، أعترف، تهاونت في جرعة دواء مهم لفترة، وفي يوم بعد أن أنهيت مكالمتي مع ابني الوحيد -المهاجر منذ عشرين عاما - ظهر لي فيديو قصير، لعجوز مثلي على إحدى صفحات السفر في الفيسبوك، لا وجود للصدف، لكن هل هذا ممكن فعلا؟ هل هو آمن؟ ماذا لو حدث لي شيء؟ هل التكلفة كبيرة؟ لكن، هو يشبهني فعلا، يسافر وحيدا، وفي مثل عمري، حتى إني رأيت مرة عكازا بجانبه في

فيديو آخر له في (باريس) تداعب وجهه نسمات هواء الخريف المنعشة وهو يستمتع باكرا برائحة القهوة الغنية ويَذُوب داخل طبقات (كرواسون) طرية دسمة وذهبية مقرمشة من الخارج، فبدا وجهه الجاف بعد أن دبت فيه الحياة، فجأة أصغر بعشرة أعوام.

كنت أعتقد أن خريف العمر هو وقت التساقط من الحياة، فقط التمدد على السرير وانتظار الموت. لكن اتضح أنه وقت الانطلاق والتجارب بحرية بدون قيود أو مسؤوليات، وقت تدبير المال والبحث عن رحلات لا تُنسى وتكوين صداقات جديدة، حتى لو بواسطة رحلات جوية رخيصة أو الإقامة في إحدى بيوت الشباب، حسنا لا مشكلة، فلن يعيقني أحد.

ها أنا الآن أمام تحفة معمارية في مدينة (ميلانو)، جوهرة جميلة تتلألأ أمام عيون مهندس مسن كان يحلم برؤيتها عن قرب مع زوجته أيام الجامعة، وها هو الآن يحقق أول أمانيه ويلتقط الصور بجانبها.

الدجال

دخلت هند عند أشهر دجال في منطقتها، حاملة بكلتا يديها أكياس سوداء كبيرة ثم جلست على نفس الكرسي القديم في الزاوية بالصالة الضيقة، وضعت أكياسها على الأرض بعناية وشردت مع سيدة بجانبها تقول بسعادة وهي تشوح بيديها لرفيقتها:

- ده خلى بنتي ترجع لجوزها بعد يومين اتنين بس، وخالتي خرجت من عنده، وبعد ساعة واحدة بس لقت نفسها حامل، أما البت سوسو اللي ساكنه فوقينا، ما أنت عارفاها، تاني يوم جالها عريس إنما ايه مِتْرَيِّش، ده دخل عليهم شايل ومحمل بخمس علب شوكولاته كوفرتينا مرة واحدة.

- يا سلام.

- أُمَّال، آه هو سعره حراق شويتين، بس ايه، يستاهل.

قطع حفلة (الرغي) صوت مساعد الشيخ من على مكتبه الخشبي القديم وسط الصالة وهو ينبه هند بمجيء دورها.

دخلت هند غرفة الشيخ الكئيبة، قليلة الإضاءة غريبة الرائحة، المليئة بتعاويذ معلقة على الحائط وجثث حيوانات محنطة منتشرة في كل الأركان ومن حولها شموع كثيرة مضاءة لكن خافته، بالكاد وجدت الشيخ وسط هذا المتحف جالسا على أريكة خشبية، مرتديا عمامة حمراء وجلابية سوداء مزركشة بنجوم حمراء وذهبيه، مع عشرات (السبح) الطويلة حول رقبته.

قال الشيخ بصوت عال ممدود:

- تعالي ياااا هننند، جِبتي الطلبات إلى قُلْتلك عليها المرة الي فاتت؟

جلست هند على كرسي خشبي بمسند لليد بجانب أريكته وقالت بحماسة:

- آه، هو بجد يعني، جوزي هيظهر تاني، بعد ما اختفى وهو سايق على الدائري؟

- طبعاااا أُمّاال، احنا عرفنا إن صورة عربية جوزك معمولها عمل سفلي، متطلعش الدائري إلا والنزلات كلها تختفي، فيلف مصر كلهاا قبل ما يروّح البيت، ناوليني كده الطلبات أراجعها، ممم:

رِجل فرخة بخمس صوابع.

شنب فار لسه متجوز.

ريشه صفراء من حمامة بيضاء.

٩ جنية دهب.

٥ آلاف دولار و٦ يورو.

علبة ألوان (سوفت باستيل) كبيرة.

٧ كراريس بجلاد أحمر.

ثم أضاف منزعجا:

- ايبه ده، فين الـــ (ديسبلاي فايل) البني والفايل الأبيض الي بسوستة.

قالت بنظرات إحباط وعيون دامعة:

- ملقيتهومش، دورت عليهم في كل حتة، أنا جِبت بدالهم أصفر وأزرق.

- اييييه الألواااان دي؟ هو إنتِ رايحة تبلبطي في البحر، كده طلباتك ناقصة والعمل ممكن ميظبطش.

- طب حاول كده يا شيخنا، ده أنا بسمع عليك حكايات عجب، مش معقولة هنتعطل عشان الحاجات البسيطة دي؟

نظر للأسفل وقال بابتسامة تواضع:

- اااه طبعا طبعا، طيب.

طرقع صوابعه ووشوش مساعده ثم فتح كتابًا به بعض الطلاسم.

قرأ بصوت صاخب وهو يرفرف بيديه كلمات غير مفهومة، وفجأة، انطلق من أمامه بخور كثيف غطّى المكان كله فوقعت هند على الأرض كالناموسة خلف (عربية الرش) ثم بدأت بنوبة سعال شديدة كادت أن تُفقدها الوعي، فقال بصوت عال ممدود:

- رَوَّحي يا هنننند، وهتلاقي جوزك منور البيييييت.

دخلت هند منزلها وهي تضع يدها على صدرها وتحاول التنفس مجددا، دارت بعيونها في الصالة، فانتبهت لوجود شيء ممدد ومغطّى على الأريكة بـــــ(خيشة) بنية كبيرة، سحبت الغطاء ببطء وهي تتلو بعض الأدعية والآيات، فتسارعت ضربات قلبها حين بدأت رأس بشعر بني تظهر من تحت الغطاء، شدت الغطاء بسرعة فاحمر وجهها وغلى الدم في عروقها وهي ترى بعض القش بجانب ثمرة (جوز الهند) كبيرة.

يوم آخر بائس

حسنا، لِمَ لا تبدو هذه المرة فرحة كأي أنثى تستلم طرد مشتروات (أونلاين)؟ وضعت نور الطرد الكبير على مكتبها، أخرجت حفنة نقود من حقيبتها ثم خطت نحو الباب أمام مكتبها، مدت يدها بوجه تعس وعيون دامعة فقالت:

- اتفضل الحساب.

ابتسم عامل التوصيل ابتسامة مريبة ثم قال:

- أنا معايا حل لمشكلتك.

اتسعت عيناها وتسارعت ضربات قلبها وقالت بصوت عال قليلا:

- بتقول ايه؟

-بقول معايا حل للمدرسين اللي مش عارفين يتعاملوا مع التلاميذ المتعبين.

انهمرت الدموع من عينَيْ نور حتى بللت قميصها ثم قالت بانفعال وهي تمسح دموعها:

- آآآآه العيال مجنّنني.

ثم بكت بحرقة، ووضعت يدها على جبينها وترنحت في منتصف غرفة استراحة المدرسين وقالت:

- كنت فاكرة لما أدْرِس الفنون هبقى الفنانة (نورجوخ) اللي لوحاتها

بتتباع بالآلاف، لكن بقيت مدرسة لحفنة أوباش، وحظي ادُّوني مجموعة مكملين معايا ابتدائي كله.

ثم تابعت وهي تجثو على ركبتيها وتولول بحرقة:

- دول عاملين زي (الفرقع لوز)، بيمشوا على الحيطة ورغايين اييبه، وبيرسموا برجليهم أو بُقهم، أي حاجة غير إيديهم، ده الأسبوع اللي فات رحت القسم عشان عَيّل اتعملّه محضر لما فتح دماغ زميله.

خطا العامل خطوتين بداخل الغرفة، وأخرج من جيبه علبة دواء أسطوانية صغيرة ثم قال:

-أنتِي عارفة محتاجة ايه؟

-ايه، فيتامين دال؟

- أنت محتاجة الحبوب دي، عليها خصم النهارده بس، دي تدوبيها في عصير وتشرّبيها للعيال.

انتفضت ورفعت ذراعيها وعينيها لأعلى ثم قالت بصوت عال:

- وايه، هاها،أيوه، هاها، هيموتووا كلهم.

ثم أطلقت ضحكة مدوية صمت أذنيه.

قاطع أحلامها السادية قائلا:

- لا، هتغير من نمط شخصياتهم، أنت معاكي (حركيّين)، غصب عنهم مبيعرفوش يعّدوا في مكانهم. الحباية الحمراء لما يشربوها هتخليهم (بصريين) يحبوا بقى الصور والألوان والنظام، هتهيصي يعني.

خطفت من يده القرص ووضعته في كوب ماء على المكتب وقلبته كمن يحضر مركبا كيميائيا للسيطرة على العالم. أردف قائلا بابتسامة يبدو عليها الحرج:

-هم بس بيفهموا الحياة بعنيهم يعني لازم يبان عليكي الترحيب والاهتمام، ومتنسيس الابتسامة، يعني اوعي تكشّري أو تبرّقي.

تركت تقليب القرص في الكوب والتفتت إليه باستهجان وقالت:

- يعني ايه لازم؟ طب افرض يوم مزاجي وحش، هرموناتي طافحه.

قاطعها مشاورا بسبابته:

- آه، متنسيش الحب أو الاعتذار لهم بالهدايا مش بالكلام.

شوحت بيدها وقالت منفعلة:

- ايه؟ أجيب هدايا كمان؟ فلووووسيييي.

قال مُطَمْئِنا:

- لا، ستيكر، قلم، كارت، كده يعني.

ثم تابع بابتسامة صغيرة قبل أن تلتفت للكوب:

- المشكلة بس، إن البصري بيحب يبقى البرنس في القاعدة، يعني إوعي تحرجية أدام الناس، ولازم تحتويه يا إما هيعاندك ويحرجك ويمرمط كرامتك في الأرض عشان يمشّي كلامه، وآه، نسيت أقول إنه مش بيحب الأوامر، يعني قوليله (انا رأيي تعمل كذا واللي يريحك اعمله).

ثم أشار نحو مكتبها وقال:

- والعصايا الطويلة اللي على مكتبك، اللي بتلسوعي بيها العيال دي، إذا مع الحركيين هتقلبهم بلطجية فمع البصريين مش هقولك ممكن يعملوا ايه.

اتسعت عيناها وتخيلت مشهدا مرعبا، ثم أشارت له ليسكت، فتحت نافذة بجوار مكتبها وسكبت منها ما بداخل الكوب ثم أغلقتها لتسد وابل الشتائم القادم من أسفل.

سألت في يأس:

- عندك ألوان تانية؟

- تاخدي الزرقاء، ده (الحسي) شبه (الحركي) كده بس هادي، يعني برضو بيكره الضرب وبيحب الأحضان والطبطبة، عدواني شوية عشان مشاعره سايقاه، المشكلة اللي هتتكرر وأنتِ بتمضيهم على المحاضر في الأقسام، إنهم مش هيعرفوا برضو يحكوا اللي حصل في الخناقة.

ازدادت ملامح نور بؤسا بعد تذكر رحلاتها المدرسية المتكررة لقسم الشرطة المجاور.

فهم من نظراتها فقال:

- آه زهقتي طبعا، خلاص بلاش ده. طب بصي بقى الحباية الصفراء دي، هتعجبك أوي، ده بقى (السمعي) اللي بيسمع الكلام، هادي ومتفوق.

لمعت عيناها وقطبت جبينها وهي تبتسم ابتسامة الأشرار ثم قالت:

- أيوه هات الجميل ده.

و قبل أن تضحك ضحكة الشر بعد أن رفعت ذراعيها، قاطعها قائلا:

- هو بس مش بيحب الصوت العالي، أو اللوم، الشتيمة، وبيحب المناقشة والجدال زي عينيه، ولازم، لازم تعتذري لو عملتيله حاجة، وامدحيه دايما عشان تكسبيه.

قلَّت حماسة نور وتبددت ابتسامتها وبدأت علامات القلق تظهر على وجهها.

أردف قائلا:

- مشكلته بس إنه بيخزن الإساءات، يعني لما يكبر شوية هيطلعهم عليكي مرة واحدة، جدال وعصبية بقى.

ثم تابع بصوت ممدود:

- والسرقة، انتقامه الهادي المنهج اللي بيمتعه وهو شايفك منهارة ودموعك مغرقة المكان.

مدت نور (بوزها) ثم أشارت له لينصرف بحلوله التسويقية الفاشلة. دارت نحو مكتبها، فتحت طردها الكبير وأخرجت خوذة ودرع مكافحة الشغب، ارتدتهم بعناية ثم خرجت لتواجه يوما آخر بائسا.

كائن الأم

بصوت مؤدي قناة ناشونال جيوغرافيك نأخذك في رحله للتعرف على هذا الكائن المثير للاهتمام.

لم يكن كائن الأم كما تراه هكذا في صغره، فالأغلب كان هادئ الطباع، منتقدا لكل أم في محيطه، معتقدًا أنه سيكون الأفضل والأروع في كل شيء حين يصير أما أيضا.

كان يعتقد أن هذه الجارة المجنونة التي تصيح ليل نهار، مؤكِدا أنها تأكل طفلا بعد كل صيحة فلا يسمع لهم حسا بعد ذلك، لم يكن هذا الكائن وقتها يبالي بتوقع أسباب هذه الصيحات المتكررة، فلا بد أنهم أحرقوا المنزل أو قذفوا مجوهراتها من الشرفة، لكن، الآن كائن الأم يدرك تماما ما سيقوله الجيران والمارة وأصحاب المحلات في الشارع عليه - لكنه لا يبالي - فهو يعتقد أن يقال عليك مجنونا أفضل من أن يرتفع ضغط دمك فتصاب بجلطة أو نوبة قلبية أو حتى السكتة الدماغية، فهذا الكائن على مر العصور طور طريقة رد فعله ليقلل بها ضغط دمه، بعد إرسال عقله إشارات لإطلاق هرمونات الأدرينالين والكورتيزول المسببة لارتفاعه. فبعد أن كان يتنفس بعمق أو ينصرف من مكانه أو يفكر بعقلانيه، أخذ يصيح ويبطش كغول هائج، ثم ابتكر جملة بارعة ليختم بها حفلة صياحه وهي: (هطفش ومش هتعرفولي طرييييق).

كان يعتقد أيضا أن تلك السيدة كسوله للغاية حتى تغير حفّاضا لطفلها الرضيع وسط العامة، فينتقدها وسط أفراد عائلته بقساوة، لكن هذا الكائن المثير للاهتمام تكيَّف مع بيئته لدرجة أن يغير هو وعائلته أيضا الحفاضات لأطفالهم في الأماكن العامة، فيصير نهجا عائليا مكتسبا.

إذا رأيت كائن الأم برفقة طفله الرضيع في وقت غفوته القصيرة للغاية، فحذارِ أن تقترب من طفله، لا تنخدع بابتسامات هذا الكائن الزائفة، فنظراته الراجية لك ألا توقظ وحشة الصغير وراءها مطواة مخبأة في وضع استعداد ليشرحك من رأسك حتى إصبع قدميك الصغير.

الآن بعد أن تحول كائن الأم المهيب إلى أحد أفراد الـــــ (ماميز) في مجموعات الواتساب المدرسية، يعد السؤال الأكثر رعبا وفتكا لدرجة يجعله يبلل نفسه هو: (هل مامي - فلان- معنا في الجروب؟) عندها يحاول كائن الأم التظاهر بأنه ما زال في عالم الذّر ولم يُخلق بعد مع وضع ابنه على طاولة الاستجواب عن أحداث يومه المدرسية، حتى يُحاصَر كائن الأم برسائل تطوعية في المجموعة تشير بأنه هو المراد.

وكحال المشاغبين الصغار الذين يثيرون المتاعب خاصة في النوادي وسط التجمعات الكبيرة، إذا حالف كائن الأم الحظ مع فرد آخر جاء للشكوي - لكنه يتفهم طبيعة هذه الوحوش الصغيرة - مع إعطاء نقد بناء لتعديل سلوك طفل كائن الأم مؤكدا تفهمه أن المشاجرة بين أطفالهم لم تكن نيتهم فيها القتل العمد، فحينها يتصرف كائن الأم بعقلانية ويوجه

طفله إلى الاعتذار وعدم تكرار الأمر، لكن الغالبية للأسف تهاجم كائن الأم أن طفله (مَشَفْش رِباية) فيتحول كائن الأم الذي يأكل أولاده أحيانا من الغضب إلى وحش هائج ليثبت أن أطفاله ملائكة لا يخطئون أبدا، ثم تصير أصواتهم تحطم الصمت وهم يتنازعون على أطراف حديقة الأطفال، فالتحدي هنا أن كليهما لديه شيء لإثباته.

هناك خوف غريزي تشترك به جميع كائنات الأم، ألا وهو مخاطر مسك الأكواب والأطباق وأيضا (التنطيط) من قبل الأطفال الصغار، قد تعتقد للوهلة الأولى أن كائن الأم يبالغ من ردات فعله القلوقة، لكنك إذا توغلت في عقله المزدحم بتوقع الحوادث السيئة بسبب التفاعلات داخل دماغه وارتفاع بعض الهرمونات، ستتأكد أنه يبالغ فعلا، فهو يعتقد أن هذا الأحمق الصغير سيسكب الكوب على نفسه فيضطر أن يغير له ملابسه بأكملها، أو أن السجادة النظيفة ستصير حمراء للأبد من آثار صلصة المعكرونة الساخنة المهروسة بفعل قدمه الهوجاء الصغيرة، أما هذه الحركات البهلوانية فوق الأريكة فمؤكد أنها ستوصلهم إلى المشفى لخياطه بعض الغرز في رأسه الصغير العنيد.

وفي موسم فساد الفاكهة في ثلاجة المنزل ينشط كائن الأم وخلاطه المميز ليفيض بكرمه على أطفاله الأعزاء بأكواب من العصير المنعش وخصوصا عصير الجوافة، مع الأخذ في الاحتياط توافر جميع أدوية المعدة، فهو بذلك يطبق مقولة (أُمّآل هنرمي النعمة؟ !).

أما أسلوبه في المطاردة فهو من الدرجة الأولى، فيستطيع كائن الأم أن يصيب ابنه من على أبعد مسافة في المنزل ممسكا بأقرب سلاح في متناول يديه وهو (الشبشب)، وسط نظرات سعادة من ابنه الذي لم يتعدَّ طوله (أُكرة) الباب المُبَرمَج على تكرار أفعاله غير المبررة لاختبار أقصى ردات فعل أمه المجنونة.

*****

تم عرض هذا الفيلم الوثائقي على جميع شركات الإنتاج، لكن للأسف تم رفضه لصعوبة جميع مَشاهده البائسة.

رجع إلى مكانه الدافئ واستلقى بعد أن أُغلق الباب. أخذ ينظر هنا وهناك طويلا ثم بدأت علامات القلق تتسرب إلى وجهه. بدأ يتساءل:

-هل هذا معقول؟ هل يمكن أن يحدث لي ما كنت أخشاه؟ هل تركتني وحيدا بعد أن كنا نذهب معا في كل الأماكن؟

أخذ يبحث في كل مكان ويسأل كلَّ من حوله: هل رآها أحد في الطريق؟ متى شُوهدت آخر مرة اليوم؟

أمضى ليلته يفكر في أحداث أيامه الأخيرة. هل أهملها كثيرا كما كانت تَدَّعي؟ هل أَغلق على نفسه كلما رأى صديقا له يصير وحيدا بائسا مهملا؟ هل خوفه من الوحدة جعله عصبيا ولا يطاق؟

سأل عنها زميلا له كان يراقب حيرته من بعيد في صمت، فأجابه: لِمَ لا تبحث عنها؟ ربما لم تتركك فعلا، وفقط هي شاردة هنا أو هناك. فابتسم له ابتسامة الآمل المتوجس.

ذهب لأكثر الأماكن احتمالا أن يقابلها فيها، فتح الباب الدائري الكبير وقَلْبه ينبض بقوة، فنظر بتمعن في الظلام الحالك، لكن، المكان كان فارغا كقلبه الحزين، استدار وذهب للصالة الكبيرة حيث احتمالية جلوسها هنا أو هناك واردة أيضا، أو ربما تقف في خفاء وراء عمود كبير أو خلف أثاث ضخم.

فجأة اتسعت عيناه وهو يرى عجوزا وحيدة جالسة في ركن مظلم يكسوه التراب وخيوط العنكبوت، فسألها: هل تعلم سر اختفاء رفيقة دربه (فردة الشراب)، فأجابته العجوز وهي تهز رأسها في حكمة وصوت منخفض:

-لا أحد يعلم السر بعد.

في غاية البساطة

دخلت سماح المنزل حالمة بجمال فستان السهرة الخلاب الذي قاسته منذ قليل. تخيلت نفسها طاووسا مبهرا في حفلات الزفاف القادمة ووقفت أمام زوجها الروبوت - النسخة الأحدث إصدارا - الجالس على الأريكة يشاهد المباريات، ثم طلبت منه إخراج مبلغ صغير للغاية لتبتاع الفستان الأنيق. قالت بصوت هادئ وابتسامة كبيرة وعيون تحلق وسط الآمال المبهجة:

- عايزة ٧٠٠٠ ج أجيب فستان.

أجاب الروبوت بصوته المزعج المقطع:

-جيبي، مش شغال، النهاردة، بعدين.

تأففت سماح ودار بعقلها زوجها السابق -الحقيقي- كم كان يرفض طلباتها البسيطة للغاية أو يؤجلها إلى ما لا نهاية. سألت بصوت أعلى وحواجب مقطبة وعيون ارتمت على أرض الواقع:

- هتديهوملي امتى يعني؟

- الفلوس، اللي معايا، على أد الصيانة، بعدين.

- يووه، معنديش فستان حلو.

- اطلبي، كويس، أو متطلبيش، خالص.

كظمت سماح غيظها وذهبت إلى غرفتها بخطوات كادت أن تهز البيت. فتحت الدرج الأخير من (تسريحتها) وأخرجت كتيب تعليمات صغير،

تصفحت سريعا حتى وجدت طريقة الطلب من الروبوت، قرأت بسرعة:

- للطلبات غير المقنعة، ضعي عنوانا للطلب، لا تجعليه عشوائيا مبعثرا، بين قوسين عشان مش هيعرف لوحده، ثم اشرحي أهمية الطلب أو الشعور بالنسبة لك، هل يُفرِحك، بين قوسين أم يُحزِنك وهطّفحيه أيام سودة بعد كده، وأثبتت الدراسات، بين قوسين أو الحقيقة لسه شغالين فيها تجريبيا، أن غالبا سيتم الرفض، لكن لا تقلقي فدائما هناك أمل، كرري المحاولة على فترات متباعدة بوجه سعيد بدون أي علامات غضب - فنظام استقبال ذبذبات المشاعر السلبية لهذا الموديل دقيق للغاية - عندها، بعد عدد مرات أقل من اللانهائية، سيشعر أنه وغد زنيم ولا بد أن يلبي هذه الطلبات التي تُعلّي مستوى الكهرباء في شراييننه السلكية.

تنبيه، يحذر الطلب في الأوقات التالية: آخر الشهر، وقت أي صيانة، قبل دخول المدارس، وهو رايح يبيع كِليتِه من كتر الطلبات. لكن عزيزتي العميلة التطور التكنولوجي يضمن لكِ الطلب أثناء المباريات بكل أمان، على عكس الأزواج الأوغاد الحقيقيين.

بعد شهر أغلقت سماح باب دولابها المكتظ، وبخطوات بائسة وقفت أمام زوجها - الممدد على الأريكة - بابتسامة معصور عليها لمونة قالت:

- ممكن فلوس عشان محتاجة فستان جديد مظبوط على مقاسي عشان أنا تخنت ٢ كيلو، وده هيخليني مبسوطة أوي.

- خلصنا، الفلوس، في السوبر ماركت، على طلباتك، الوهمية،

المستوردة، غير المستعملة كالعادة.

تركت سماح المكان بدون تأفف أو علامات غضب ظاهرة حتى وصلت لغرفتها، ثم أحكمت بابها و(رقعت بالصوت) تحت المخدة.

تأملت سماح فستانها المبهر- صحيح بعد عام من الطلبات المتكررة- لكن المهم أنه جاء بالسلامة. أخذت ترقص وتدور أمام المرآة وبين أحضانها نزيل دولابها الأملس الجديد، وفجأة، انتبهت لشيء في غاية الأهمية، أهم حتى من سؤال (هتاكلوا ايه بكرة)، وهو عدم امتلاكها حقيبة وحذاء مناسبين لدرجة لون الفستان نادرة الوجود.

فتحت النمرة باب غرفتها بقوة، شمرت أكمامها، واستعدت لخوض معركة طلبات أخرى.

الجزيرة

- هل جاءتكِ نفس الدعوة؟

أجابتها علا باندهاش:

- نعم، أعتقد الكثير من زملائنا استلمها اليوم، ما رأيك أنتِ هل ستذهبين؟

ابتسمت مها وقالت:

- تبدو فرصة جيدة، فمن الذي سيقول لا لرحلة بحرية مجانية مع غداء في آخر يوم في الجامعة؟

قالت علا شاردة:

- لكن تبدو الدعوة غريبة بعض الشيء، أبي كان دائما يقول: لا يوجد شيء مجاني، لكن لا مانع للذهاب.

انطلق الشباب إلى مكان الرحلة، مركب بيضاء ذات طابقين مزينة بشرائط زرقاء وبالونات ملونة، دخلوها بابتسامات وضحكات، وما إن انطلقت حتى بدأت الأغاني والاحتفال ووجبة الغداء الشهية، قطع صوت الاحتفال قائد الرحلة يدعوهم للاستمتاع برؤية أسماك القرش من الطابق العلوي قبل النزول إلى الجزيرة.

وصلت المركب جزيرة (سمك القرش) التي بحجم ملعب كرة القدم لكنها كجنة صغيرة، مياهها كريستالية صافية ورمالها بيضاء ناعمة

ومليئة بأشجار النخيل المثمرة، لكن مع جمال الشاطئ فهو أحد عواصم أسماك القرش القاتلة ومليء بالقناديل السامة فلا يمكن السباحة فيه أبدا.

نزل الجميع الجزيرة ثم تفاجؤوا برحيل المركب وسط نظراتهم المتسائلة، حتى سمعوا قائد المركب في مكبر الصوت يقول بصوت عالٍ:

- حاولوا الاستمتاع جيدا في الجزيرة فأمامكم ٣ أيام حتى ينتشر السم في أجسادكم، لكن لا تقلقوا أنتم في ضيافتنا فعندكم أدوات تخييم وطعام شهي يكفيكم، ولم ننس جميع التسالي وحتى مذهبات العقل، ثم أطلق ضحكة ساخرة عالية وقال:

- استمتعوا بآخر أيام في حياتكم، نياها ها ها.

عم الصمت قليلا ثم بدأ الصراخ، وقفت علا متجمدة الأطراف فاقدة النطق تدور بعيونها بين مشاهد الذعر والبكاء بين زملائها، منهم من حاول الاتصال بعائلته لكن لا يوجد شبكة في المكان، وهناك من أغشي عليه، وآخر حاول التقيؤ أملا في إخراج السم لكن قد مرت ساعات على وجبة الغداء.

جاء الليل، أقسى ليلة مرت بهم، أصوات نحيب ومحاولات لعمل مخيم للمبيت، لكن هل يستطيع أحد النوم؟

لم يكن اليوم الثاني أسوأ من قبله لكن بدأ الشباب التفكير بعقلانية، البعض أقام حلقات ذكر وصلاة وبدأ بالتوبة والبعض الآخر بدأ حياة

اللهو وفساد الأخلاق، فانقسم المخيم لجزئين قرب الشاطئ. تمتمت علا في ذهول: هل هذا زميلها الخلوق أصبح يرافق فتيات؟ مع أنها لم تكن تتوقع أن فتاة حفل الأزياء- كما كانوا يسمونها- استعارت وشاحا لتغطي شعرها وتنضم لحلقة الدعاء، التفتت علا لتجد مها شاردة نحو النجوم عند الشاطئ، سارت إليها بخطوات هادئة ونادتها:

- عزيزتي، ألن تنضمي معنا؟ نصلي العشاء جماعة بعد قليل.

التفتت مها إليها وعلى وجهها غضب لم تره عليها من قبل، وقالت بصوت باكٍ غضوب:

- أي صلاة، لم أعد أؤمن بوجود الله، لو كان موجودا لما تركنا لهؤلاء الأشرار المرضى.

أمسكت علا يدها وقالت بصوت هادئ حنون:

- عزيزتي، وجود الشر ليس نتيجة عدم قدرة الله أو عدم رحمته، الشر قد يكون لكمال الرحمة والعلم والحكمة معا، الشر فتنة واختبار وأيضا متمم للخير، فلا وجود لشجاعة بدون مخاطرة، وأيضا لا يوجد شر محض، فالآلام الجسدية تنبيه لوجود خطر يهدد الجسم والزلازل تخرج المعادن من باطن الأرض.

أفلتت مها يدها وتركت علا وراءها بنظراتها الحزينة الراجية، ثم ذهبت لتنضم للمخيم الآخر وهي تخلع حجابها في الطريق إليه.

في آخر ليلة بدأ الجميع يودعون بعضهم البعض، نظرت علا للمخيم

الآخر بحزن ثم اتجهت لمخيمها استعدادًا لآخر صلاة، ودعت زملاءها بعيون باكية ثم وقفت في الصف، وبعد التسليم والدعاء، وجدت مها مرتدية حجابها في الصف الأخير. هرعت إليها كطفل قابل أمه بعد غياب طويل، فتعانقتا حتى كادت قلوبهن تخرج لترقص من الفرح، ثم أمضيا الليلة ممدّدتين على شاطئ البحر تحت ضوء القمر تتبادلان الذكريات الطريفة لتكون آخر ساعات في عمرهن سعيدة، لكن تسلل إليهن النعاس حتى غلبهن.

أفاقت علا في الصباح وهي لا تفهم لِمَ ما زالت حية، هزت مها لتفيق وقامتا ليتفقدا الجميع.

الكل الآن مجتمع محاولين إيجاد تفسيرات لما يحدث، هل قال المجنون إنهم ثلاثة أيام أم أكثر؟ هل معقول أن أجسادهم قاومت السم فنجوا جميعا؟! حتى قطع أفكارهم صوت بوق المركب يظهر في الأفق.

تجمع الشباب عند الشاطئ حتى وصلت المركب ونزل رجل بشعر رمادي منكوش يرتدي بدلة سوداء ونظارة شمس ممسكا أوراق، فقال بصوت عالٍ ممدود:

- مرحبا أيها العملاء، ما رأيكم في الجزيرة؟ هل قضيتم وقتا ممتعا؟ حسنا لا تقلقوا، موضوع السم كان خدعة فقط لتستمتعوا بكل لحظة كأنها آخر لحظة، ثم فتح أوراقه وأضاف قائلا بابتسامة:

- يمكنكم شراء فترة زمنيه لقضاء إجازة على الجزيرة

(time share) و عندها ستزيد استثماراتكم بعد بناء الفندق ويمكنكم أيضًا تأجير فتراتكم و...

قاطعته علا مقطبة الحاجبين ووجه أحمر كالدم فقالت بصوت عالٍ:

- ماذا؟!! هل جئت بنا هنا لتبيع لنا عطلة؟!

شوربة

زوييييي زوييييي، هل سأجد هنا ما أريد؟

دائما أجد ما لذ وطاب في هذا المنزل الدافيء، فكل يوم تعد سيدة المنزل أشهى الأكلات، ويُسمعها زوجها كلمات الثناء، فيحمر وجهها وتبدو كأنها تطير في الهواء.

للأسف لم تُعدّ السيدة اليوم شوربة المشروم بالكريمة المفضلة عند زوجتي، كنت أريد أن أعطيها لها لتعلم كم أحبها!! فتكف عن اتهامي بإهمالها وتهديدي الدائم بالفراق، يااااه، منظر الحب بينهم جميل للغاية، الغريب أني كلما أسمعت زوجتي كلامًا مثله تقول لي: (مش فالح غير في الكلام وبس). مع أني أسمعها كلام الغزل يوميا، وأطوف طوال النهار لأهديها وجباتها المفضلة.

يا ترى هل سأجد ما أريد في منزل السيدة المجنونة، دائمة الشجار مع زوجها، وتشتكي لكل الناس أنه لا يحبها، فلا يجلب لها الهدايا ويقول: (هسفرك أحسن من الهدية).

طار إلى بيت ثالث لعله يجد مراده، فرأى سيدة تعد الغداء وتبكي تأثرا أثناء مشاهدة فيديو عن الحب في (المبايل) المسنود على برطمان الملح، تساءل: هل تبكي من البصل أم من النكد مثل جميع السيدات من فصائل البوم؟ وفجأة، تهللت أسارير الذبابة، فها هي الشوربة تنور (الحَلة) برائحتها

الزكية، فمد شفاه ليمص بعضا منها، و قبل أن ترش السيدة بعض الزعتر على الشوربة انتبهت هي والذبابة إلى فيديو آخر ظهر لسيدة تقول بصوت ساخر:

-ها قطّعتوا بعض ولا لسه؟ ها، شايفها بومة ونكدية، شايفاه معندوش دم وندمانة إنك رفضتي عمر الشريف فهج وساب البلد؟

ما كل ده من، وَلّا بلاش، تعالوا أقولكم السر وأنا بحمّرلكم الكفتة، اُسكتوا مش الحب طلع ليه لغات مختلفة، يعني واحدة بتحب الهدايا وتقلك عايزة ورد، تقوم بنصاحتك تجيبلها كباب أفيد، يبقى أنت كده ايه، طفس ولامؤاخذة، أو واحدة الحب عندها إنكم تقضوا وقت مع بعض، تقوم أنت بقى توضبلها لعب العيال فوق بعض ومتشوفش وشك طول اليوم غير وأنت نايم أو بتاكل، فتفهم يا حبة عيني إنك مش طايقها. أو واحد بيحب كلمات التشجيع زي عنيه وأنت هارياه كفتة، قصدي طبطبة وتلزيق وهو مش طايق دبان وشه أساسا.

لقد تغير تفكير السيدة والذبابة، فَهِما أنهما يبذلان الحب بطريقتهما هما وليس بطريقة شركائهما النكديين.

طار مسابقا للزمن إلى بيته، أمسك بيدها ونظر لعيونها الغاضبة، فقام بدعوتها على العشاء مع وعد لقضاء أوقات أكثر معا، فلمعت عيونها الخمسة أخيرا بعض طول انتظار و(نَبْح) للصوت.

الآن ذبابتا الحب يمضان أفضل لحظات عمرهما القصير بسعادة وهناء، يطيران سويا في كل مكان ويرسمان أشكال قلوب في الهواء، ثم يستمتعان

(بالغتاتة) على وجوه الناس.

و ها هما يتبادلان أطراف الحديث حول إحدى صحون الشوربة في هيام، فلم ينتبها فوقهما ليدٍ ممسكة بمضرب ذباب وتهوي به عليهما بكل قوة مع نظرات الاشمئزاز.

اقتناص المتعة

نظرا خلسة للمكان، حددا مواقع الخطر وصوّبا نظرهما بحدة نحو الهدف. ثم سارا ببطء وعيونهما تدور إلى الأفق وتظاهرا أنهما تائهان وضلا الطريق.

صحيح أن الطريق الممهد للسير يحيط بالمكان، حتى القطط الموجودة تعرف مكانه، لكنهما تظاهرا أن- كل بني آدم خطاء- فلا مشكلة إذا اختصرا الطريق وهما يرتديان ملابس التدريب، مع أن ملاعب كرة السلة في الجانب الآخر من النادي.

تسللا بهدوء تحت ضوء القمر وبعض المصابيح وسط حديقة الأطفال ذهبية الرمال، مرَّا بجانب كوخ خشبي أقصر من قامتهما، ثم وقفا بحذر خلف الزحليقة البرتقالية الحلزونية الشاهقة ليراقبا المكان قليلا، فرمقا شزرا اليافطة التي تقول (مخصص للأطفال تحت ١٢ عاما).

بخطوات هادئة عبرا بجانب أرجوحة حديدية دائرية صفراء كطاولة الشاي، ثم تدحرجا في الهواء من فوق لعبة الميزان إلى أن زحفا تحت شبكة تسلق مربعة الإطار، كثعبان يستعد للانقضاض على فريسته، حتى جاءت اللحظة الحاسمة.

رَأَيَاها تتهادى على حبليها المعدنيين وهي تعانق الهواء بألوانها الزاهية الحمراء والصفراء والزرقاء، فتسحبك بقوتها المغناطيسية كالنداهة، تأسر

قلبك وعقلك فتسير إليها مغيّب العقل متجاهلا كل أنواع المخاطر المحتملة. فقط عرقلة صغيرة تستمتع بها، فكيف تقنع طفلا صغيرا أن يترك الأرجوحة لك بلا أي مشكلات، لا بد إذا من فرد العضلات واستخدام النظرات الحادة مع فرض السيطرة، وبعض التنمر إذا تطلب الأمر.

الآن بعد حل العقبة الصغيرة، رميا أرضا حقائب الظهر، وقفزا فوق الأرجوحة كأنها حمام سباحة يستقبلهم بالأحضان الدافئة، مع ابتسامة تمتد من الأذن إلى الأذن الأخرى، ونظرات استعراض قوّة لمن لا يهاب الصعاب ويجرؤ على التأرجح بأقصي ارتفاع.

وما إن همَّا برفع ساقيهما حتى سد ضوء عمود المصباح المقابل لهما ما كانا يخشيانه، بقميصه الأحمر الداكن وبنطاله الأسود وشاربه الرمادي العريض مع ابتسامة صغيرة ونظرات الوعيد، ومن خلفة يظهر ما بقى من ضوء المصباح كهالة نارية تنطلق من خلف الأبطال الخارقين الذين يمسكون بالأوغاد المخالفين مثلهم، نعم، شعور القبض عليك واحد أيا كان، لكن، أين حقوق الأطفال فوق ١٢ عاما؟ اتركونا نطبق مبادئ الفيزياء عن القوة والجاذبية والدفع، أو حتى قانون السبب والنتيجة.

رفعا حقيبتيهما بخفة قبل أن يتكاثر فرد الأمن ذاتيا بواسطة جهازه اللاسلكي، ثم قالا بصوت واحد عالٍ وهما يقفزان بسرعة: اِجري يَلَا.

الخلاص

أين وعودك التي بنيتها لي في أول لقاء؟ هل أصبحت سبب عنائك فصرت تتأفف مني في كل معاد بعد أن كنت أول مرة تتأملني بانبهار؟

خصصنا أوقاتا نمضيها معا، فبت تتهرب مني بجميع الحجج والأعذار، مرة متعب، مرة جائع فلا تقدر على الحركة، ومرة حالتك النفسية ليست على ما يرام، أو تتذكر كل الأعمال المنسية وغير المنسية فتعلو همتك وتصبح في كامل النشاط.

يا ليتني كنت مع غيرك الآن!! فكان سيجعلني أول شيء في حياته ونمضي سويا أهم الأيام.

الآن، أنا مجبرة لتحمل جميع نظرات الكُره والأسى، فضلا عن ادعائك الدائم أنك معذب محطم، أو ليتك حتى لم تولد في عالمك القاسي، مع أنه - إذا كنت بعيدا عني - فهو مليء بكل المتع والمبهجات.

يوما ما سأتخلص منك أنا أيضا وأصبح حرة طليقة وأحلق بعيدا عنك في سعادة، وستنظر خلفك في أسى؛ لأنك أضعتني، وتندم على كل لحظة لم تتشارك فيها معي، فتصير شاردا بائسا مجبرا لملء ورقة امتحانك بأي كلمات، فتصير مؤلفا لمعادلات الفيزياء البدائية مخربا للنظريات الفلسفية وتعد على أصابع يدك وقدميك في الرياضيات، ثم تولول وأنت تحسب درجات النجاح وتقول يا ليتني لم أتركك يا مذاكرة فلم أفتح أي كتاب.

نوم هنيء

هرعت إليه توقظه من نومه كالعادة، حاول التظاهر باستمرار النوم لكنه يعلم أنه لن يفلح، أسند ظهره ليسمع ما الموضوع الكارثي الذي سيظل يناقشه لساعتين على الأقل، مع علمه أنه يدور حول مكالمة تليفونية مزعجة أو كلمة قالها بدون تفكير حولت حياتها لجحيم.

الآن هي بركان يثور عليه بدون أن يدرك ما هو الموضوع، مع صيحات وتشويح وتحركات دائرية كعربة سباق فقدت التحكم. اتسعت عيناه وفتح فمه وهو يرى كائنا غريبا يتدحرج في الأرض كالكرة وينفث هواء ساخنا كتنين غاضب ويطير أحيانا، قالت له بوجه أحمر كالنار وعيون حمراء جاحظة:

- يعني ينفع تقولي ليه مطبقتيش الغسيل؟ أنت على طول بتنتقدني في كل حاجة؟

قد يبدو الزوج المسكين تائها الآن، لكنه يعلم أنها في نوبة انفعال زائد، لقد تدرب آلاف المرات، بل تدرب عددا يمكن أن يضعه في معادله لتنتج العشر سنوات عددا لا نهائيا من المرات.

في الماضي كان يشعر من صراخها أنه الوغد الشرير المتسبب دائما لجميع موجاتها الهائجة فيشعر بالتحدي ويركز انتباهه للدفاع عن نفسه أنه على صواب، فينسى بذلك أن يكون وغدا لطيفا، لكنه تطور مع الوقت فأصبح

يقاوم إغراء حل مشكلاتها وبدأ بالتعاطف معها بدلا من ذلك، فيشعرها أنها ما زالت محبوبة ولا تحتاج أن تكون مثالية.

قال لها بصوت حنون ليعيدها لهيئتها البشرية:

- آه آسف يا حبيبتي، مخدتش بالي إنك كنت مشغولة طول اليوم أكيد تعبتي من البيت والأولاد، مفيش مشكلة طبعا لو ملحقتيش تطبّقي الغسيل، اللي ميخلصش النهارده يخلص الأسبوع الجاي، سيبك يا حبيبتي من حاجة البيت وتعالي يلا نلحق ننام عشان الشغل الصبح.

ثم غطَّ في نوم عميق.

كيس برجر

فتح باب حبيبته، الرائعة دائما من الداخل فتغنيه عن دخول أي شخص في حياته الوحيدة، شرد وهو يخرج الجبن والخبز في أحداث يومه الكئيبة، كم كان هذا اليوم الأسوأ منذ أن بدأ العمل!! المقالب لا تنتهي والمدير دائما وغد شرير ويشعره دائما أنه السيئ في رواية أحدهم، حاول التشويش على عقله وبدأ بإعداد بعض الشطائر الساخنة، فلا شيء أجمل في الحياة يضاهي شطيرة جبن تذوب خارج الخبز وتملأ المنزل برائحة السعادة الصفراء المالحة، فتنسيك ماضيك وحاضرك ومكان الريموت.

أنهى وجبة السحور الممتعة ولعق أصابعه ثم أطفأ التلفاز. تمدد على السرير لينهي يومه البائس، طبطب على بطنه المنتفخ وتذكر لحظات المتعة الماضية، مع كل قضمة يصنع بها جسرا من الجبن يمتد بين فمه والشطيرة الشهية، لكن قطع محاولاته لتشويش عقله خطاب (خصم المرتب) القاسي ونظرات زميله الشامتة، فقطب جبينه ومد (بُوزه) وتدحرج على جانبه مرة إلى اليمين ومرة إلى اليسار محاولا النوم ثم غطّى رأسه بوسادته الناعمة المنتفخة لدقائق، وفجأة، اعتدل من نومه ولام شطيرته، كم خذلته هذه المرة ولم تقم بدورها المعتاد لتعالج مشكلاته فيغط في نوم عميق!!

ارتدى (شبشبه) وخطا نحو الثلاجة، فتح باب الفريزر ونظر لكيس

البرجر المجهز للطهو، أخرجه وقال في نفسه: (أعلم أنك لن تخذلني)، وفجأة خيّم أذان الفجر على عيون بائسة مخذولة حزينة.

المتسلل

دخل المنزل في الظلام الحالك والجميع نيام عبر الشباك المفتوح في ليالي الصيف الرطبة. اختبأ خلف طاولة الطعام الخشبية المستطيلة لبرهة ليتأكد أن المكان خالٍ تماما. تسلل بجانب أثاث الصالون الأخضر الضخم، حتى وجد طرقة المنزل الطويلة الواسعة. تأمل بجانبه صورة كبيرة سخيفة تملأ الحائط لأفراد المنزل وهم يبتسمون في بلاهة، ثم صوب نظره الحاد نحو أبواب الغرف الكثيرة وأخذ يفكر كثيرا، يا ترى أين يخبئ هؤلاء الحمقى الأشياء الثمينة؟ هل في إحدى هذه الغرف ملساء الحوائط أم في إحدى الغرف المقفلة في آخر الطرقة حيث تشع برودة المكيفات؟

دخل من أول باب على يمينه، وما إن خطا خطوتين حتى سمع صوت فتح باب إحدى الغرف. اختبأ بسرعة في الفراغ الكبير بين الحائط والثلاجة الفضية الكبيرة، حتى لمح سيدة المنزل في الطرقة تترنح في مشيتها بعيون شبه مقفلة كأنها أمضت الليلة بطولها في شرب المخدرات. حبس أنفاسه قليلا، واختبأ بحنكة في الركن المظلم حتى أهدت السيدة الصرف الصحي هديتها الليلية ثم مضت في سلام. تلصص قليلا ومد رأسه فاطمأن من أصوات الشخير العالية للغاية، فاستعد ليخرج من مخبئه ليبحث عن مراده.

بعد أن هدأت نبضات قلبه أحس برائحة تداعب نخاشيشه لفاكهة الصيف المنعشة تزين طبقا كبيرا على سطح خزانة المطبخ الرخامية، فسال

لعابه وتخيل نفسه يقفز وسط هذا الجمال الخلاب، فيأخذ قضمة من المانجو ذكية الرائحة ويذَوِّب في فمه قطعة من البطيخ اللذيذ ثم يلعب بحبات العنب الصفراء الناعمة في الهواء كلاعب سيرك محترف وهو يخرج لسانه ليغيظ محبي الشتاء المجادلين. وإذ فجأة، قطع أحلامه ظهور السيدة أمامه تمسك بزجاجة ماء فارغة، رافعة حاجبيها، فاتحة فمها على مصراعيه ثم صرخت بصوت مدوٍّ يصم الآذان ويكسر الزجاج.

هرول في كل اتجاه بلا أدنى تفكير من أثر الصدمة، حتى جاء ما كان يخشاه، مرتديا فانلته البيضاء الناصعة بسبب مسحوق الغسيل الفاخر الفعال، فأمسك سلاحه الفتاك المميت، وضربه ضربة قوية على رأسه - وهو يحاول الهرب - أودت بحياته البائسة.

صعدت روحه وهو يرى الزوجة تحضن منقذها بكل حب بعد أن قتل البرص المتسلل وخلّص المنزل من نوبة ذعر وبكاء محتملة.

البحث عن ترند

جلس سامح على الأريكة الرمادية الكبيرة وسط الصالة واستعد للتجربة. هو يعلم هذا الشيء من القصص القديمة وحكايات الجدات. مسحه بباطن يده وانتظر قليلا، أعاد مسحه مرتين، ثم مسحه عدة مرات، فقذفه أرضا ولعن حظه البائس، وفجأة، خرج دخان كثيف أبيض اللون، ثم أصفر، ثم بنفسجي ثم وردي ثم ظهر شيء كبير أمامة وردي اللون.

منى

سنابل للكتاب